المجلد الحادي عشر / العدد الرابع /10 أفريل 2020 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

العقلانية العربية
وأسس بناء المشروع الإصلاحي عند "حسن حنفي"
The Arab mental approach and the foundations of the construction of the reform project in the eye of Hassan Hanafi

د . تيرس حبيبة
شعبة الفلسفة، جامعة الشلف

تاريخ الإرسال: 23 / 01 / 2020	تاريخ القبول: 05 / 02 / 2020	تاريخ النشر: 10 / 04 / 2020

ملخص:

نسعى من خلال هذه الورقة البحثية إلى الولوج في فكر" حسن حنفي" باعتباره يمثل أحد أعلام الفكر العربي الإسلامي المعاصر، وأبرز المنشغلين بقضايا الأمة العربية ومصيرها، من خلال التركيز على مشروعه الحضاري الهادف إلى إصلاح العقل العربي والنهوض به من كبوته مستكملا بذلك العمل الإصلاحي لرواد النهضة والتنوير التي قامت على يد محمد عبده، وجمال الدين الأفغاني وغيرهم، من خلال تجاوزه لتراث العقلانية الكلاسيكية، وحل أزمة المناهج في الدراسات العربية الإسلامية، بتجديد آليات العقل العربي وجعله عقلا مبدعا، يعطي أولوية العمل على النظر تماشيا مع قضايا الواقع العربي المعاصر. **فما موقف حسن حنفي من العقلانية العربية الإسلامية؟ وفيما تتمثل أسس مشروعه المنهجي الإصلاحي؟**

الكلمات المفتاحية: العقلانية العربية، المنهج، البحث العلمي، التراث، التجديد، العقل العملي

Summary

We seek through this paper to enter into the thought of "Hassan Hanafi" as one of the flags of contemporary Arab-Islamic thought, and highlighted the concerns of the issues of the Arab nation and its destiny, by focusing on its civilizational project aimed at reforming the Arab mind and the advancement of its stature supplemented by the reform work of pioneers Renaissance and Enlightenment, which was carried out by Mohammed Abdo, Jamal al-Din al-Afghani and others, by overcoming the legacy of classical rationalism and solving the curriculum crisis in Arab-Islamic studies, by renewing the mechanisms of the Arab mind and making it a modern creative mind.

Keywords: Arab rationalism, curriculum, scientific research, heritage, innovation, practical mind.

المجلد الحادي عشر / العدد الرابع /10 أفريل 2020 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

أولا: - حسن حنفي ونقد أسس العقلانية العربية المعاصرة:

1- تعريف العقلانية العربية:

مصطلح العقلانية كما يصطلح على تحديده أغلب الفلاسفة والمفكرين في صورته البسيطة والمباشرة هو الاستعانة بالعقل في كل الممارسات الإنسانية النظرية منها والعملية، الموجهة لفهم العالم وحقيقة الحياة، ولهذا نجد بأن الفلسفة والعقلانية رفيقتا درب لم تكن الأولى لو لا الثانية، حتى أرسطو جعل الفلسفة تبدأ من طاليس، أي يوم تخلى الإنسان عن التفسير الميثولوجي للظواهر الطبيعية، وحاول أن يفسرها تفسيرا عقلانيا.[1]

ومن هنا فإن مصطلح العقلانية يطلق على كل نزعة فكرية تؤمن بالعقل وتقدسه، وتعطيه الأولوية في بلوغ المعارف،على طرفي نقيض من اللاعقلانية، والخرافة، والقول "بأولوية العقل في الوجود والمعرفة والحقيقة، وهي عند بعض علماء الدين القول بأن العقائد الإيمانية مطابقة لأحكام العقل."[2]

وقد عرّفها العديد من رواد الفكر العربي المعاصر من بينهم "برهان غليون" على أنها " القدرة على الترشد في العمل والنظر الإنسانيين، وهي القدرة الناجمة عن تراكم الخبرة البشرية والحضارية، وهي الطرائق الجديدة التي يبدعها الإنسان على صعيد الواقع أو النظرية لتحسين مردودية جهده وزيادة فاعليته."[3]

كما حاول "محمد عابد الجابري" أن يحدد المقصود بالعقلانية في فكرنا العربي المعاصر في مستهل كتابه "نقد العقل العربي" في جزءه الأول من " تكوين العقل العربي"، حيث يفضل الجابري تكوين العقل العربي على أساس عقلانية موحدة يكون روحها عقل "ابن رشد" في تخيله الفلسفي متمثلة في: "مجموع المبادئ والقواعد التي نعتمدها في استدلالاتنا على اعتبار أنها تكون منظومة القواعد المقررة والمقبولة في فترة تاريخية معينة وهي تختلف من عصر إلى عصر والتي تعطي لها خلال تلك الفترة قيمة مطلقة."[4]

---

[1] - جورج زناتي، عواصف غربية ضد العقلانية، مجلة الفكر العربي المعاصر، العدد 64- 65، بيروت، 1998، ص 29.

[2] - جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج2، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1778. ص 90.

[3] - برهان غليون، العقلانية ونقد العقل، مجلة الوحدة، محور العدد: العقلانية والفكر العربي، الرباط، 1988، ص 104.

[4] - محمد عابد الجابري، تكوين العقل العربي، سلسلة نقد العقل العربي، بيرزت، ط3، 1988، ص 14.

المجلد الحادي عشر / العدد الرابع /10 أفريل 2020 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

2- موقف حسن حنفي من العقلانية العربية:

لقد أقدم "حسن حنفي" في مشروعه التجديدي إلى نقد العقلانية الإسلامية في الفكر العربي المعاصر، والذي يقصد به الإنتاج الفكري منذ فجر النهضة العربية حتى الآن، والذي بدأ بروادها الثلاثة: جمال الدين الأفغاني مؤسس حركة الإصلاح الديني، والطهطاوي مؤسس الليبرالية الحديثة، وشبلي شميل رائد التيار العلمي العلماني، بحيث تمتد جذور هذه التيارات الثلاثة في التاريخ قبل عصر النهضة عند "محمد بن عبد الوهاب"، و"ابن القيم"، و"ابن تيمية" و"أحمد ابن حنبل" بالنسبة للإصلاح الديني، وعند "حسن العطار" و"ابن رشد" والمعتزلة وفقهاء السياسة الشرعية المتأخرين مثل "الطرطوشي" و"ابن الأزرق" بالنسبة للتيار الليبرالي، وعند العلماء المسلمين، علماء الرياضيات والطبيعيات واللغة والتاريخ بالنسبة للاتجاه العلمي العلماني.[5]

ويعتقد "حسن حنفي" أنه تم تجاوز هذه القسمة التقليدية الموروثة منذ عصر النهضة، وفسح المجال لظهور مشاريع عربية إصلاحية معاصرة جديدة تحت **"نقد العقلانية"** بفروعها الثلاثة: نقد العقل الإسلامي "لمحمد أركون" وهو وريث العقلانية الإصلاحية، ونقد العقل العربي "لمحمد عابد الجابري"، وريث للعقلانية القومية، ونقد العقل الغربي "لمطاع الصفدي" وريث العقلانية العلمانية.[6]

فقد اتسعت العقلانية العربية في نظره وأصبحت تضم كل شيء، واستعملت كشعار أكثر منها كمفهوم خاصة في الفكر العربي المعاصر الذي مازال يغلب عليه الطابع الفكري العام في المنابر العامة ولم يتحول بعد إلى فكر دقيق ومفاهيم محددة.[7]

لقد سجل "حنفي" إعجابه بنموذج العقلانية الإصلاحية من جهة التأصيل والتأسيس، بمحاولة جعل العقل الميزان الأول لفهم الدين والأخذ به في تحقيق سعادة الأمم، ومحاولة تنقية العقول من الخرافات والأوهام التي علقت بها، وذلك ما نجده عند "جمال الدين الأفغاني"، وجعل العلم ناتج من العقل ولا يبنى بالتقليد، والعقل قادر على التمييز بين الفضيلة والرذيلة وهو ما يظهر لنا عند "محمد عبده" وغيرهم من رواد هذه الحركة، غير أن "حسن حنفي" وصف هذا الاتجاه بالوهن والفشل والركود

[5] - حسن حنفي، هموم الفكر والوطن (الفكر العربي المعاصر)، ج2، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة، 1998، ص 51.
[6] - حسن حنفي، حصار الزمن الحاضر،(إشكالات)، مركز الكتاب للنشر، القاهرة، ط1، 2004، ص 145.
[7] - المصدر نفسه، ص129.

المجلد الحادي عشر / العدد الرابع /10 أفريل 2020 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

أو كما سماها "**بكبوة الإصلاح وظواهر الردة**"، لأن البدايات الجريئة غير النهايات، التي بدأت بالتراجع تدريجيا عن منطلقاته الأولى.[8]

أما بالنسبة لنموذج العقلانية الليبرالية، فما ينتقده "حسن حنفي" فيها هو عدم خضوعها لمنهج النقد الذاتي، خاصة وأن تاريخ الفكر البشري هو تاريخ النقد، باعتباره " **أداة التحول والانتقال من مرحلة تاريخية إلى أخرى ساهمت فيه كل الحضارات، وأسسه الأنبياء والمفكرون والعلماء، النقد شرط الإبداع، والإبداع شرط التقدم والنهضة.**"[9] وغياب النقد يؤدي إلى غياب الحوار وقبول الرأي الآخر، ولهذا انهار بناء العقلانية الليبرالية لأنه لم يتأسس على أرض ثابتة وصلبة، فأسسها على الانبهار بالغرب، والبناء قبل الهدم، والمخاطرة باستعمال بعض المفاهيم التي توحي ببقايا عنصرية وعرقية لا تزال حية: مثل العقل المصري، العقل اليوناني، العقل الإسلامي، العقل الإنساني. غير أنه في المقابل نجده يثمن ما قام به "مطاع الصفدي" في نقد العقل الغربي واعتبره تحول كبير في العقلانية الليبرالية من تبني الفكر الغربي واستعارة تراثه إلى نقده وإعادة كتابته على نحو موضوعي.[10]

أما بالنسبة للعقلانية العلمية فإن "حسن حنفي" لم يرفضها تماما بل حاول تأصيلها في التراث العربي الإسلامي، ولكن بطريقة مختلفة، فمن أهم المآخذ التي سجلها عليها وكانت سببا في فشلها هو انفصالها التام عن التراث الممثل للهوية والتمسك بغيره، مما أوقعها في التغريب وجعلها تتغذى من الخارج في عقلانيته وماديته وتسقطها على الواقع الإسلامي.[11]

3- موانع الإبداع العلمي والفلسفي في الفكر العربي عند حسن حنفي:

نبدأ من سؤال جوهري طرحه في مقدمة كتابه «من النقل إلى العقل»: هل يمكن أن تنجح عقلانية عربية مستمدة من العقلانية الغربية أو الرياضية ومقلدة لها بينما العقلية العربية مغروزة في العلوم النقلية»؟ وعلى هذا الأساس حدد موانع الإبداع في النقاط التالية:

أ- مانع التبعية للتراث:

[8] - حسن حنفي، حوار الأجيال، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة، 1998، ص 155.

[9] - حسن حنفي ، حصار الزمن، مصدر سابق، ص 153.

[10] - حسن حنفي ، حصار الزمن، مصدر سابق، ص154.

[11] - حسن حنفي، جذور التسلط وآفاق الحرية، مكتبة الشروق الدولية، ط1، القاهرة، 2005، ص 263.

المجلد الحادي عشر / العدد الرابع /10 أفريل 2020 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

يقصد حسن حنفي بالتبعية للتراث بمعنى تقديسه وتقليده إلى حد تعتبر فيه أية معارضة أو مخالفة كفرا، دون تغييره أو تجديده، وهذا ما يمنع الإبداع، لذلك يعتبر التمسك بتراث عصر سابق عن هذا العصر دون إعادة النظر فيه وقراءته من جديد أمر مرفوض، فلا يمكن أن نجعل الماضي أفضل من الحاضر والسلف خير من الخلف والقديم أرقى من الجديد، لأن مهمة العقل لا تتوقف عند مجرد تبرير القديم وقبوله وإلا وقع الباحث في التكرار، وحتى باستخدامه لعلوم التفسير المعاصرة فقد يسيء تأويل التراث وهذا" من شأنه أن يجعل النقل مجرد إضافة معلومات على واقع لم تنشأ فيه وبالتالي لا تؤثر فيه، كما يجعل الدراسة الجديدة مجرد مراجعات للأدبيات القديمة أو الحديثة عرض أو نقدا لها أو ربما إضافة عليها من دون التعامل مع الواقع ذاته الذي يظل في حاجة إلى تنظير مباشر ينبع منه ويقدر على التأثير فيه."[12]

بمعنى أن المنهج الخاطئ في التعاطي مع التراث يعيق تجديده وتحويله إلى ذخيرة فردية تضطلع بإعادة بناء الإنسان انطلاقا من الإصلاح، فالتراث هو جزء من الواقع، غير أننا لازلنا نعيش بفكرة القضاء والقدر، وثنائية الله والعالم، وبالقيم السلبية في التصوف، وتشعب المناقشات التي في الفروع التي لا تغير أي شيء.[13]

فالتراث عند "حسن حنفي" لا يعني مجموعة القواعد والعقائد النظرية الثابتة والحقائق الدائمة التي لا تتغير، بل هو مجموع تحققات هذه النظرية في ظرف معني، وفي وقت تاريخي محدد، وعند جماعة خاصة تضع رؤيتها وتكوّن تصوراتها للعالم، لذلك ينظر إلى التراث على أنه ليس شيئا ماديا موضوعا في الهيئات والمكتبات، كما انه ليس كيانا نظريا مستقلا بذاته بل هو" مخزون نفسي عند الجماهير، وهو جزء من الواقع ومكوناته النفسية.[14] لذلك اعتبر أن سيادة عملية النقل في المعرفة يمثل خطر على الإبداع لأنه كلما زاد النقل قل الإبداع ، سواء نقل مباشر من التراث القديم أو النقل من عند المحدثين، بحيث منذ عصر "الطهطاوي" لازالت المشاريع القومية والثقافية في النشر أو الترجمة.

ب- مانع التبرير:

[12] - حسن حنفي، هموم الفكر والوطن، ج2، مصدر سابق، ص179.

[13] - كريمة كربية، إشكالية التجديد في فكر حسن حنفي، مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة السلطان قابوس، العدد 2، ص 41.

[14] - رابح مراجي، التجديد عند حسن حنفي، مجلة النقد الثقافي، ملف العدد(التراث والحداثة)، العدد الأول، 3013، ص 22.

المجلد الحادي عشر / العدد الرابع /10 أفريل 2020 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

وهو الحالة التي يمتنع فيها الإبداع عندما تتحول وظيفة العقل وكل القوى الإبداعية في الإنسان إلى مجرد تبرير لمعطيات الماضي والحاضر، وقبولها دون البحث عن مدى مشروعيتها " فالتبرير هو إعمال للذهن في اتجاه واحد، بإرادة موجة دون عرض لبقية الاتجاهات وبيان سائر الاحتمالات بناء على طبيعة الموضوع ذاته، التبرير يخل العقل عن دوره في النقد، والإرادة عن اختيارها الحر، واعتبار الحقيقة معطاة سلفا، ومعطاة لي انأ وحدي، وعلى الإطلاق."[15] وعليه فالاستسلام للسلطة وللقهر والتسليم بالطاعة والانقياد والاقتراب من المقدسات كلها تقف حواجز أمام قوة الإبداع، لأن الإبداع في البداية هو عبارة عن مقاومة وتحرر. قبل أن يكون نتيجة في النهاية.

ج- تقليد الغرب:

تعتبر التبعية للآخر من أخطر موانع الإبداع، التي أدخلت العقلانية العربية في أوج أزمتها، وذلك نتيجة للانبهار بما أنتجه واعتباره مصدر التنوير الفكري والفلسفي والعلمي والسياسي، الأمر الذي كرس الخضوع للآخر والنقل عنه واستهلاك نتائج إبداعه دون إبداع، وهذا تغريب للمجتمعات اللاغربية، وجعلها امتدادا طبيعيا للغرب، وهذا نوع جديد من الاستعمار الطوعي والاختياري، "إن الإبداع لا يتم خارج الثقافات المحلية. فلا يوجد إبداع عالمي دولي يلقى الترحاب والعون والتقدير من المنظمات والهيئات العلمية الدولية وتعطى له جوائز نوبل وغيرها... الإبداع لا يكون إلا محليا، وتكن عالميته في صدق تعبيره عن أوضاعه المحلية." [16]

وعليه يرى "حسن حنفي" بأن الفكر العربي المعاصر اليوم يتجاذب بين موقفين متعارضين بين الجمود والتجديد وبين الإحجام والإقدام، فالأول يشير إلى الماضي ويفيد المحافظة والانغلاق على الذات ورفض الآخر وإيثار التقليد على الإبداع، ويمثله عادة الموقف السلفي الذي اشتهر بفتاوى ابن صلاح ضد المنطق والفلسفة، أما الموقف الثاني يشير إلى الانفتاح على الآخر والتحرر، مع قبول التحديث والإبداع ويمثله الموقف التجديدي أو التحديثي منذ عصر النهضة إلى اليوم. غير أن "حسن حنفي" يقدم على نقد كلا الموقفين " والحقيقة أن كلا الموقفين تابعان، الأول للماضي والثاني للمستقبل، الأول لتراث الآباء والثاني لتراث الآخر، كلاهما تبعية على التبادل. التابع واحد وان اختلف المتبوع".[17] لذلك يتساءل بطريقة سخرية قوية،" فأية عقلانية عربية في الوقت الذي أصبحت فيه الأمة محاصرة معتمدة فيه على الآخرين

[15] - حسن حنفي، هموم الفكر والوطن، ج2، مصدر سابق، ص180.

[16] - حسن حنفي، هموم الفكر العربي، ج2، مصدر سابق، ص 182.

[17] - المصدر نفسه، ص53.

المجلد الحادي عشر / العدد الرابع /10 أفريل 2020 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

في غذائها وسلاحها، وفي عملها وتنميتها، وتخلت عن استقلالها الذاتي إلى تبعيتها للآخر. أين أرباب الفلسفة في هذه الأمة ليوازنوا بين التراث والمعاصرة، بيت الفكر والواقع، ولكي يجعلوا من الواقع المعاش المصدر الوحيد للتنظير العقلي، وبالتالي تجاوز الأزمة الحضارية."[18]

لذلك نجد "حسن حنفي" متأثر في كتاباته بهذا الواقع المؤلم لما آلت إليه العقلانية المعاصرة، ويُظهر ذلك بعبارات الحسرة والتأسف التي يستخدمها" إنه ليحزن الإنسان أن يجد جيلنا الخامس من أجيال النهضة العربية الحديثة، مازال ناقلا لثقافات الغير، لم يتحول بعد من مرحلة النقل على مرحلة الإبداع."[19]

4- أزمة المناهج في الدراسات العربية الإسلامية:

يطرح لنا حسن حنفي وبشكل موسع أزمة المناهج في الدراسات الإنسانية في كتابه " التراث والتجديد"، وينطلق منه في إظهار أن أزمة التغيير في المجتمع العربي المعاصر تصاحبها أزمة مهمة تتمثل في أزمة البحوث والدراسات الإسلامية، وترتبط مشكلة المنهج في الفكر الإسلامي بدراسة التراث.

إن التراث والتجديد "حسب خنفي" هو تعبير عن أزمة الدراسات الإسلامية في الجامعات والمعاهد العليا، وهذه الأزمة في الحقيقة أزمة البحث العلمي، وترجع أساسا إلى انفصال في شخصية الباحث بين المسلم والبحث، فهو من ناحية مسلم بمعنى أنه مستسلم للواقع الذي يعيش فيه، وهو باحث من ناحية أخرى يدرس التراث بنظرة محايدة، وكأنه يدرس ظواهر تاريخية لا شأن له بها، وهذا مناقض لتعريف "حسن حنفي" للتراث، حيث أكد أنه " قضية شخصية للباحث لأنه ينتمي إليه فكرا وحضارة ولغة ومصدرا ومصيرا".[20]

وترتبط هذه الازدواجية في شخصية الباحث بعدة أسباب منها تصور الإسلام على أنه مجموعة من العقائد لا صلة لها بالعلم أو بالبحث العلمي، الأمر الذي يجعله يتبنى أي منهج خارجي لدراسته له، إلى جانب الركود الذي أصاب التصور الإسلامي للحياة، والدراسات التي لم تستطع أن تقدم بديلا للمناهج الغربية، إلى جانب الانفصال عن تراثنا القديم وتبعيتنا للتراث الغربي الأمر الذي خلق حالة من التغريب

[18] - حسن حنفي، موقفنا الحضاري، منشورات الفلسفة في الوطن العربي، بيروت، 1985، ص 31-32.
[19] - حسن حنفي، هموم الفكر العربي، ج2، مصدر سابق، ص187.
[20] -. نعيمة دريس، أزمة المناهج في الدراسات الإسلامية علم أصول الفقه عند حسن حنفي أنموذجا، مجلة منيرفا، العدد2، مجلد4، 2014، ص201

المجلد الحادي عشر / العدد الرابع /10 أفريل 2020 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

الثقافي، وتقليد مناهج الغرب العلمية التي نشأت وتنشأ كرد فعل على معطاها الديني الخالص وهو المسيحية.[21]

يرتبط المنهج بالموضوع الذي يتعامل معه، وأي اختلال في الأحكام والتصورات عن الموضوع يؤدي إلى اختلال في المنهج وينعكس سلبا على البحث ونتائجه، فأزمة الدراسات الإسلامية الحالية تكشف عن أزمة في مناهج الدراسة، وتتلخص هذه الأزمة أساسا في عدم تطابق المنهج المتبع مع موضوع الدراسة نفسه خاصة إذا كان الموضوع نفسه منهجا أو يحتوي على منهج كامن فيه، فإن الغالب على هذه المناهج المتبعة أنها إن لم تكن مضادة تماما لطبيعة الموضوع ومنهجه فإنها على الأقل لا تتفق معه.[22]

ويعود ذلك إلى أن المناهج المستعملة لم تدرس بالشكل الجيد من طرف مستعمليها ولم يعيها أصحابها، إذ وضعت بالتقليد أو بالعادة أو رغبة في الكسب أو لغرض لا صلة له بالبحث العلمي في مصدره ومنتهاه، أي عدم تطابق المنهج مع موضوع الدراسة، الأمر الذي يسقط البحث العلمي ويتحول التأليف إلى ظواهر بعيدة عن العلم، لذلك فإن إعادة طرح مسألة التفكير المنهجي فيما يتعلق بالدراسات الإسلامية يمكن بواسطته إحياؤها من جديد لتجنب الأحكام الخاطئة الشائعة، ولربطها بحياة الناس الدارسين القدماء أو الجدد، مادام التراث قضية وطنية وجماعية، ولصبها داخل الثقافة الوطنية، وعلى هذا النحو تتحرك قضية الموروث، وتحي في أذهان الباحثين شبابهم وذلك بالبدء بالتفكير المنهجي.[23]

يُرجع "حسن حنفي" أزمة المناهج في الدراسات العربية الإسلامية إلى خطأين: الأول يطبع دراسات وبحوث المستشرقين وهو "**النعرة العلمية**"، والخطأ الثاني يسيطر على أغلب الدراسات الإسلامية وهو "**النزعة الخطابية**". بحيث يعود هذين الخطأين إلى الطابع الحضاري لكل منهما، ويمكن أن نوضحهما كما شرحهما حنفي:

1- النعرة العلمية:

تنشأ هذه الحالة في نظره من استعمال منهج أو طريقة في البحث تخالف تماما موضوع البحث، كأن يستخدم المنهج المادي على الظواهر الميتافيزيقية كالوحي مثلا، والنظر إلى الظاهرة الفكرية كظاهرة مادية

[21] - حسن حنفي، التراث والتجديد(موقفنا من التراث القديم)، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، ط5، بيروت، 2002، ص 69-70.

[22] - حسن حنفي، التراث والتجديد، مصدر سابق ، ص 79.

[23] - المصدر نفسه، ص 81.

المجلد الحادي عشر / العدد الرابع /10 أفريل 2020 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

خالصة، وكتاريخ خالص مكون من شخصيات، أو أنظمة سياسية واجتماعية واقتصادية تحدد نشأتها وطبيعتها، وتحاول من خلال ذلك تركيب الظاهرة بدعوى تفسيرها.[24]

الأمر الذي يفقد الظاهرة طابعها المثالي بانقطاعها التام عن الوعي، والخطأ الأكبر أن جميع المستشرقين ينكرون الوحي الإسلامي، لأنه بالنسبة إليه لا يمكن إرجاع الظواهر الفكرية التي يدرسونها على أصولها في الكتاب والسنة عن تعوّد أو عن قناعة واعتقاد، لأن الوحي عندهم هو نتاج للتاريخ" فالمستشرق يعرف في قرارة نفسه أن التفسير الوحيد للظاهرة هو إرجاعها إلى أصولها في الوحي. ومع ذلك يدير ظهره، ويحاول إيجاد أصول تاريخية واجتماعية لها. لا يعني ذلك توجيه نداء للباحثين لتراثنا القديم أن يؤمنوا أولا بالوحي الإسلامي ثم يبحثوا ثانية تراثنا القديم، بل يعني أن الباحث يمكنه أن يصف نشأة التراث وتطوره وكيفية خروجه من مصادره الأولى."[25]

وعلى هذا الأساس يعتقد أن حل أزمة المناهج في فكرنا العربي الإسلامي لا يمكن أن تتحقق بالانكباب على مناهج المستشرقين ودراساتهم من دون التحقق منها وكذا مراجعتها، إذ "لا يمكن استعمالها كمصادر علمية أو كبراهين يمكن الاستدلال بها والاعتماد عليها قبل تمحيصها أولا والتحقق من صدقها خاصة لما ظهرت معظم المناهج الإستشراقية في القرن التاسع عشر الأوروبي فقد سادها المذهب الوضعي السائد، فخرجت وضعية تاريخية إلى حد أقصى، واستقر المستشرق في القرن العشرين على هذا المذهب ولم يفارقه وأصبح متخلفا عن ميله الباحث الأوروبي في العلوم الإنسانية."[26]

ويمكننا في رأيه الكشف عن النعرة العلمية في مناهج أربعة يستعملها المستشرقون إما منفردة أو مجتمعة، وبطريقة شعورية مقصودة أو لا شعورية، تكمن وراء أعمالهم وتحدد مهامهم واتجاهاتهم لدراسة الظاهرة، وهذه المناهج تتمثل في: المنهج التاريخي، التحليلي، الإسقاطي، منهج الأثر والتأثر. وجاء تبرير رفضه لهذه المناهج في عدم استطاعتها على التعاطي مع التراث العربي الإسلامي بروح علمية، باعتبارها تريد دراسة الفكر عن طريق الحوادث التاريخية أو الوقائع الاجتماعية أو ترجعه إلى الإبداع الشخصي أو الأثر الخارجي، وبالتالي نجد بأنها مناقضة للنظرة الكلية الشمولية والطابع الكلي الذي يعتبر أهم ما يميز الحضارة الإسلامية.[27]

---

[24] - نعيمة دريس، أزمة المناهج في الدراسات الاسلامية علم أصول الفقه عند حسن حنفي أنموذجا، مرجع سابق، ص 202.

[25] - حسن حنفي، التراث والتجديد، مصدر سابق، ص71.

[26] - المصدر نفسه، ص 174.

[27] - نعيمة دريس، أزمة المناهج في الدراسات الاسلامية علم أصول الفقه عند حسن حنفي أنموذجا، مرجع سابق، ص 203- 204.

المجلد الحادي عشر / العدد الرابع /10 أفريل 2020 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

2- النزعة الخطابية:

وهي النزعة التي تسود معظم الدراسات التي يقوم بها الباحثون الذين ينتسبون إلى الحضارة العربية الإسلامية، بحيث تعطي الأولوية للوحي على التاريخ، ولكن بطريقة ساذجة يطغى عليها نوع من المراهقة الفكرية المفعمة بالعاطفة والانفعال، فهي دراسات تعبر عن فكر مندفع ناتج عن أزمة عجز عقلي أكثر من صدوره عن موقف فكري يتسم بالوضوح النظري ويدافع عن نفسه حجة بحجة. غذ ينقصه الكثير من الوعي الإدراكي للمشاكل التي يعانون منها.[28]

وبالتالي فإن خطأ النزعة الخطابية في نظره هو الخطأ المضاد للنعرة العلمية، ناتج عن ضعف في التكوين النظري للباحث:" فهو يعبر عن المستوى الثقافي الحالي من تطور الحضارة ولكنه متخلف عن المستوى الثقافي للتراث القديم الذي استطاع دفع المشاكل وإيجاد حلول عقلانية لها، وقد بلغ التعقيل في ثراثنا القديم درجة أن التراث كله أصبح نظرية في العقل."[29]

وعلى هذا الأساس اتسمت الدراسات الخطابية بعدة مناهج، هي في الحقيقة مجرد تنويعات مختلفة، فالخطابة لا ترقى إلى درجة المناهج المحكمة ذات القواعد والأصول، إذ تميزت بالتكرار وتحصيل الحاصر، فلا تأتي بأي جديد فقط إعادة اجترار التفسيرات القديمة، " فالعبارة هي نفس العبارة مكررة في صور عديدة تفقدها تركيزها بل ومضمونها إذ تحمل الفكرة الحواشي والشروح أكثر مما تستطيع لدرجة أنها تفقدها استقلاليتها ودلالتها."[30]

فكانت المناهج إما تقويض أو دفاع، وأحيانا أخرى مجرد مهاترات وجدال. وحتى منهج الدفاع عن التراث هو في الحقيقة مجرد خلط بين التفكير والتبرير لأنه يدافع عن الموضوعات من دون وضعها موضع التساؤل، وبالتالي لا يحاول معرفة أي بناء نظري لها، فتبقى بدون أسس عقلية تقوم عليها وإنما تقوم على أسس خاطئة في الفهم ومناهج خاطئة في التفسير، إذ يقبل الماضي كما هو من دون نقد أو تمحيص.[31]

ويشير حنفي إلى أن خاصية التكرار انتشرت في وقت ما من أجل حفظ التراث القديم من الاندثار والزوال والضياع، وهو ما حصل في عصر الموسوعات والشروح والملخصات ، حيث تم حفظ التراث في

---

[28] - حسن حنفي، التراث والتجديد، مصدر سابق، ص 96.

[29] - المصدر نفسه، ص97.

[30] - حسن حنفي، التراث والتجديد، مصدر سابق، ص97.

[31] - حسن حنفي، التراث والتجديد، مصدر سابق، ص 98- 100.

المجلد الحادي عشر / العدد الرابع /10 أفريل 2020 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

الموسوعات خوفا أن يضيع على يد التتار والمغول، لكن هذه الأسباب قد زالت في الوقت المعاصر ولم يعد هناك داعي لحفظ التراث لأنه مدون ومنشور بشكل واسع، والخطر الآن على التراث هو خطر التكرار.[32]

وعليه فكل من النعرة العلمية والنزعة الخطابية لها نقائصها التي تتمثل في الاهتمام بجانب دوت الآخر، ومكمن التراث والتجديد عنده بإدراك تلك النقائص"وإذا كان خطأ النعرة العلمية أنها "تعرف كيف تقول؟" دون أن تعرف " ماذا تقول؟" فإن خطأ النزعة الخطابية أنها تعرف " ماذا تقول؟" دون أن تعرف كيف تقول؟". والتراث والتجديد لتفادي الخطأين معا إذ يحاول أن يعرف " ماذا يقول؟ وهو التراث "وكيف يقول"؟ وهو التجديد."[33]

والنتيجة التي يصل إليها "حسن حنفي" في تحليله لأزمة المناهج في الدراسات العربية الإسلامية هي أن الأزمة لا تكمن في الموضوعات، وإنما المدخل إليها وكيفية استيعابها ومعالجتها، فالموضوع واحد يتكرر عند المفكرين المسلمين" لما تخلف المسلمون وتقدم غيرهم" كما سأل شكيب أرسلان، أسباب التخلف وشروط النهضة كما عرضها مالك بن نبي، والأزمة في كيفية المقاربة، التشخيص والحل، الوصف والمخرج، الإدراك والتغيير".[34]

ثانيا: أسس تجديد العقلانية العربية في مشروع "حسن حنفي"

بعد نقده للعقلانية العربية وبيان أوجه النقص فيها والثغرات التي تكتنفها باختلافها، يقترح نوع جديد من العقلانية تكون مبنية على الأسس العملية والعلمية للعقل، إذ تعد مسألة العقل قضية جوهرية في الفكر العربي المعاصر، بالرغم من بعض التباينات الموجودة حول تحديد ماهيته وأهميته، إذ تختلف باختلاف المناخ الفكري والتوجه الإصلاحي للفيلسوف أو المفكر، وهذا ما يشير إليه " حسن حنفي: " أليس هذا ما شهدناه لدى فلاسفة وعظماء الفكر العقلاني من أفلاطون إلى ابن رشد، ومن ديكارت إلى هوسرل".[35]

يعتبر أن إتباع المنهج العقلي هو سبيل التقدم والخروج من الأزمة والتخلص من الفكر الخرافي والتفسيرات الغيبية التي كانت سببا في التخلف " فالعرب في أمس الحاجة إلى العقل إذا أردنا طريق

[32] - نعيمة دريس، أزمة المناهج في الدراسات الاسلامية علم أصول الفقه عند حسن حنفي أنموذجا، مرجع سابق، ص212.
[33] - حسن حنفي، التراث والتجديد، مصدر سابق، ص105.
[34] - حسن حنفي، حصار الزمن (إشكالات)، مصدر سابق، ص 56.
[35] - ليسينج، تربية الجنس البشري، ترجمة حسن حنفي، دار الفارابي للنشر، القاهرة، ط2، 2006، ص 138-139.

المجلد الحادي عشر / العدد الرابع /10 أفريل 2020 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

التقدم، ونحن في أمس الحاجة إلى التفسيرات العقلية في مجال الفقه أليس هذا ما كان يدعو إليه ابن رشد لما هاجم الفهم المتحجر للدين الذي يهاجم العلم والحضارة ويؤدي إلى ضيق العقول وقصورها وتشبعها بالخرافة والتفكير اللاعقلاني"[36]

لذلك يقترح "حسن حنفي" إعادة نقد التراث الكلامي القديم عن طريق مراجعة مختلف الأطر الفكرية والخلفيات العقائدية التي تبنت توجيه المقولات المعرفية، ويقصد هنا بالتحديد المقولات الأشعرية التي كانت في نظره السبب في تراجع الفكر العربي الإسلامي لانغماسه في الغيبيات وابتعاده عن قضايا الواقع المباشر للعصر الحديث، "لقد ساد الاختيار الأشعري أكثر من عشرة قرون ، وقد تكون هذه السيادة إحدى معوقات العصر لأنها تعطي الأولوية لله في الفعل وفي العلم وفي الحكم وفي التقييم في حين أن وجداننا المعاصر يعاني من ضياع أخذ زمام المبادرة منه باسم الله مرة، وباسم السلطان مرة أخرى. ومن ثم، فالاختيار البديل، الاختيار الاعتزالي، الذي لم يسد لسوء الحظ إلا قرنا أو قرنين من الزمان، بلغت الحضارة الإسلامية فيها الذروة، هذا الاختيار قد يكون أكثر تعبيرا عن حاجات العصر، و أكثر تلبية لمطالبه".[37] يظهر لنا من خلال هذا القول دعوته إلى تبني الفكر الاعتزالي ذو الطابع العقلاني والاستدلالي واتخاذه مرجعية نصية لطرح القضايا العربية المعاصرة التي تحتاج إلى عقل تنويري من أجل إعادة استئناف حضور العقل الإسلامي من جديد على المستوى الكوني.

لقد تساءل "حسن حنفي" عن معنى العقل الذي يدعو إليه هل هو العقل المنطقي الصوري، أو العقل التجريبي الحسي، أم العقل الحيوي الإرادي؟ وكان جوابه تفضيل العقل العملي على سائر العقول لأنه في نظره يمثل أساس الحياة الاجتماعي والدينية والأخلاقية والسياسية وكل مظاهر الحياة المرتبطة بوظيفة العقل المتمثلة في إيجاد العلاقات وهي نوعين علاقات رأسية تتحد بين الأعلى والأدنى (صورة الأكمل والأفضل مثل الخالق والمخلوق، الحق والباطل، الصواب والخطأ...)، وعلاقات أفقية تتحد بين الأمام والخلف(على أساس أن الطرف الأول إيجاب مطلق في حين الطرف الثاني سلب مطلق)، ولا تعتبر هذه العلاقات مجرد حكم للواقع بل تتضمن أيضا حكم للقيمة.[38]

[36] - حسن حنفي، هموم الفكر والوطن (التراث والعصر والحداثة)، ج1، دار قباء للطباعة والنشر،ط2، القاهرة، 1898، ص 173.

[37] - حسن حنفي – التراث والتجديد –موقفنا من التراث القديم – المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع – بيروت – الطبعة الرابعة – 1992- ص . 21

[38] - حسن حنفي، هموم الفكر والوطن، مصدر سابق، ص 529.

المجلد الحادي عشر / العدد الرابع /10 أفريل 2020 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

وبهذا جعل حنفي العقل أساس الحراك الفكري والاجتماعي والحضاري حيث به نتجاوز سلطة التقاليد الموروثة ونفسح المجال لتأسيس نظرية جديدة للمعرفة تقوم على استقراء القوانين الطبيعية وفق المنهج التجريبي الذي يرتكز عليه النقد العقلي الحديث."[39]

فالعقل ليس قوة سحرية تدل على الإعجاز بل تحليل علمي للظواهر وإخضاعها لحساب كمي للوصول إلى القوانين لا أثر فيه للدهشة آو الإعجاز أو السحر، وإذا كان العقل التشريعي لا يتعدى أحكام التكليف، يقيس الفروع على الأصول فإن مهمة العقل العملي كما يرى "حنفي" تتمثل في تنظير الواقع وتحويل الطبيعة إلى رياضة كما فعل " جاليليو" دون أن ترجع الواقعة إلى واقعة أخرى مشابهة لها، وهذا طبعا لأن العقل الذي يقوم على التمثيل والاستدلال وحصر العلل ليس هو العقل العلمي الذي يعمل على معطيات التجربة دون أحكام سابقة.[40]

فحركة الإصلاح الديني في الوعي الأوروبي لم تكن بعيدة عن النموذج الإسلامي الذي انتشر في الفلسفة المدرسية المتأخرة ومنذ الاتصال بالمسلمين عبر الحروب الصليبية، ونقل العلوم الإسلامية، فقد تعلم لوثر العربية، وظل النموذج الإسلامي القائم على العلمانية وغياب الكهنوت أحد نماذج الإصلاح المسيحي واليهودي.[41]

فلما كان الوحي والعقل والطبيعة انساقا ثلاثة متساوية ومتوازية ومتطابقة خرجت العلوم الرياضية والطبيعية من ثنايا الوحي الذي وجه العقل نحو نفسه كنسق ونحو الطبيعة كموضوع مقابل له، " والسؤال لماذا توقفت العلوم العقلية الخالصة في وجداننا، ولم تتسرب في وعينا القومي ولم نستأنف رياضيات القدماء عن حسن ابن الهيثم والخوارزمي وطبيعياتهم عند جابر ابن حيان والرازي؟"[42] يجيب "حنفي" على هذا السؤال، باعتبار أن التنازل عن إعمال العقل والاكتفاء بالفخر والزهو بالموروث الثقافي، وفي المقابل الاهتمام بنقل الوافد الغربي، فكانت النتيجة لا نحن فهمنا القدماء ولا نحن أبدعنا مع المحدثين. الأمر الذي جعله ينادي بالدور العملي للعقل:" ولكن واقعنا أشد الحاجة إلى التخلي عن العبث

[39] - المصدر نفسه، ص 535.

[40] - حسن حنفي وعبد الله المرزوقي، النظر والعمل والمأزق الحضاري الراهن، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1، 2003، ص 156.

[41] - حسن حنفي، مقدمة في علم الاستغراب، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت،ط2، 2000،ص 168.

[42] - حسن حنفي، هموم الفكر والوطن، ج2، مصدر سابق، ص 19.

المجلد الحادي عشر / العدد الرابع /10 أفريل 2020 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

والعفوية ونقص التخطيط والارتجالية إلى تمثل العقل واستعمال مناهجه لتحليل الظواهر تحليلا موضوعيا."[43]

يدعو "حسن حنفي" إلى حماية العقلانية العربية من المخاطر الغربية التي عملت على شل حركتها التحضرية بظهور أزمات اجتماعية وثقافية كان لها بالغ الأثر على العمل الفكري والسلوكي، لأن الإرهاق الذي يعاني منه الفكر العربي جاء من جراء الضعف الإيماني والعقائدي وتسخير الدين لصالح السياسة وكذا تسخير الثورة لصالح الاستعمار الغربي للسيطرة على التراث العربي. من أجل هذا دعا إلى تجاوز اللعبة الغربية عن طريق:[44]

1- الوعي بالخطر الغربي الموجه لاستشراف العقل العربي بمشكلات مصطنعة مثل العلمانية، الدولة الدينية وغيرها من القضايا التي لا معنى لها.

2- العمل على تهيئة الساحة الفكرية والنفسية العربية لمواجهة الآخر عن طريق ربط الإنسان العربي بجوهر الإسلام عقيدة وحياة، إيمان وعمل، أمن وأمان، حرية وعدل. فلا وجود لعقلانية بدون تغيير، ولا تغيير بدون عمل مشترك لرجال الفكر والدين والسياسة والثقافة والمجتمع والاقتصاد....، غير أن البداية عنده يجب أن تكون من الفكر والمفكر ثم طرق التفكير والبحث للوصول إلى الإنتاج المعرفي باعتباره

إن صياغة مشروع حضاري لا يمكن أن يتجسد في فرض نمط واحد من عقلانية مفكر معين، وإنما يتم عن طريق تنظير لها يسمح بالتعددية في الفهم والتفسير ومناهج التحليل، ما يستلزم اجتهاد جميع المدارس والتيارات الفكرية من دون تغليب تيار على الآخر، بل استثمار مختلف الأفكار لتحقيق الوحدة العربية " فإذا كنا نعاني من التجزئة والقطرية والخلافات إلى درجة الاقتتال والحروب الأهلية يكون المشروع الحضاري الجديد مشروع وحدوي بالضرورة، تعبير عن التوحيد في الفكر والواقع... "[45] وهو ما ذهب إليه مصطفى حجازي عندما بين أن ظروف التبعية والخضوع والتسلط هي من أسباب عدم إيجاد عقلانية منفتحة تخرج الأمة العربية من أزمتها:" هذا الواقع هو المسؤول في تقديرنا عن إعاقة نمو

[43] - جسن حنفي، قضايا معاصرة في فكرنا المعاصر، دار الفكر العربي للنشر، ط1، القاهرة، 1976، ص 67.
[44] - حسن حنفي، الفكر العربي بين الجمود والتجديد، المؤتمر الفلسفي العربي، منشورات الجمعية الفلسفية، عمان، 1992، ص 17.
[45] - حسن حنفي، هموم الفكر والوطن، ج2، مصدر سابق، ص 48.

المجلد الحادي عشر / العدد الرابع /10 أفريل 2020 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

العقلانية. وكيف يكون فرصة لأي عقلانية حين يكون المنطق الوحيد السائد هو منطق الإخضاع بدلا من منطق الإقناع، ومنطق الإتباع عوضا من منطق المواجهة والمشاركة؟[46]

ففي ظل الإنتاج العلمي الصاخب والإبداع المتجدد، ومحاولة التخطي المستمر لما هو مألوف، لابد وقبل كل شيء من التعاون بين المفكرين العرب ليتحقق التكافل الاجتماعي في أمة واحدة من تاريخ العرب المعاصر، لرسم إستراتيجية للتكافل الفكري.[47] وهذا ما جعله من المتحمسين لقيام جمعية فلسفية عقلانية نقدية تأخذ على عاتقها لم شمل الباحثين والمفكرين العرب في الحقل الفلسفي على مائدة بحث واحدة لتدارس كيفية التخطيط للمصير العربي وإيجاد عقلانية توافقية مع الحياة الواقعية بدلا من عقلانية الترف والخرافة التي يتهمه الغرب بها.

بهذا يمكننا أن نصنف عقلانية "حسن حنفي" في خانة العقلانية النقدية، لأن العقلانية المنشودة عنده تتمثل في ضرورة تجاوز العقلانيات الضيقة التي عرفتها الساحة الفكرية العربية وجعلته ينتقدها، لأنها لم تقم على تأسيس عقلانية واضحة المعالم والغايات بل تأسست وفق أبعاد ايديولجية ضيقة، يحاول كل مفكر أن يفرض نمط عقلانيته واتخاذه كنسق وحيد للتفكير، الأمر الذي وضع الفكر العربي أسير العقلانيات المتضادة والمتناقضة. فعملية البحث عن العقلانية المنشودة تكون في عملية التأصيل للعلانية ذاتها، بحيث يجب أن تكون ذات أبعاد حداثية غربية، مع ضرورة التأصيل لها أيضا تراثيا،"فهو لا يبني مشروعه على مقولات العقل العربي، ولا العقل الاسلامي، وإنما حاول ان يؤسس لنفسه نسقا جديدا يتمثل في جعل التراث وسيلة لا غاية من أجل جعل الذات تفكر من خلاله لا أن يفكر لها ويحل مشاكلها، فلكل عصر مسوغاته الحضارية"[48] ، فالعقلانية المنشودة عنده تتسع لكل أشكال العقلانية، كالدائرة التي تحتوي داخلها كل الأشكال، فالعقلانية ليست خطة أو طريقة بل هي تلك الروح التي تحرك العقل نحو التفكير والتأمل." وهذا تفاديا للوقوع في الفوضى والغثيان كسمات للفكر المقلد المغترب أو المغلق، فعلانيته " ميزة للفكر العقلاني الفاعل والناقد والمتفاعل، والمنفتح والمناطح إنه الفكر المتفوق المعول عليه."[49]

---

[46] - مصطفى حجازي، نحو عقل عربي مستقبلي، مجلة الوحدة، العدد 41، الرباط، 1988، ص61.

[47] - حسن حنفي العقلانية في الفكر العربي المعاصر، مجلة الوحدة، العدد51، الرباط1988، ص 08.

[48] - بوعرفة عبد القادر، حوار أجراه مع مجلة الحوار المتمدن، http://bouarfah.blogspot.com/2013/06/blog-post_9.html (الاطلاع عليه بتاريخ 2020/01/22.

[49] - حسين الجابري، عقلانية حسن حنفي، جدل الأنا والآخر، عبد ربه للطباعة، ط1، القاهرة، 1997، ص 246، ص 247.

المجلد الحادي عشر / العدد الرابع /10 أفريل 2020 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

لقد أراد "حسن حنفي" أن يتخذ من العقلانية منهجا أكثر مما هي مفهوما أو تصورا، ولعل هذا ما جعله ينكب على الأخذ بشبكة العوامل والأسباب الجوهرية والعميقة لمشكلات الإنسان العربي دون الاكتفاء بما هو ظاهري أو سطحي، رغبة منه في إيجاد السبل الكفيلة للإحاطة بمولدات الداء قبل البحث عن الدواء، وبالتالي لإتاحة الفرصة لأبناء الأمة العربية للكشف عن الحلول العقلانية للمشكلات التي تعاني منها المجتمعات العربية من غير تقليد أو محاكاة لحلول المشكلات التي يعاني منها الآخر، وتفاديا للسقوط في مغبات الانغلاق على الذات أو الانقطاع عن روح العصر.[50]

يشيد "حسن حنفي" بالاجتهاد البشري القديم في موضوع الوحي من خلال نشأة العلوم العقلية النقلية إعمالا للعقل في موضوعات النقل، بصياغة علم أصول الدين أو علم التوحيد من أجل الدفاع عن العقائد الإسلامية ضد المخاطر التي كانت تهدده. أما اليوم فإن موضوع الدفاع قد تغير من مجال العقيدة إلى مجال القضايا الإنسانية لحل المشاكل المعاصرة، ويقدم في هذا المجال مجموعة من التساؤلات يقول فيها: "والآن أيهما أولى بالدفاع، العقائد أم مصالح الناس؟... فهل مازال علينا الدفاع عن العقائد هو موضوع عصرنا لإثبات أن الله واحد لا شريك له وليس كمثله شيء؟ ومن منا لا يعلم ذلك؟ أم أن الخطر وارد علينا الآن من الاستعمار في ثوبه الجديد، والرأسمالية التي تجدد نفسه... وماذا عن الخطر الداخلي، القهر والفقر والتخلف والتجزئة والتبعية واللامبالات؟[51]

فتجديد العقلانية العربية يتضمن تجديد أهداف العلم والفلسفة من خلال الاهتمام بالواقع الاجتماعي بدلا من التشبث بالنص النظري المقدس، لأن ذلك يمثل جوهر العدالة الاجتماعية في الإسلام، مع إظهار عدم صلاحية نقل التجربة الإسلامية الأولى ولا ترجمة العلم الغربي كما هو بسبب اختلاف الموقع التاريخي والاجتماعي والسياسي عن واقعنا المعاصر. الأمر الذي يدعي ضرورة تحديد مفاهيم خاصة بالعقل العربي بعيدة عن مصطلحات الآخر وتفاديا للوقوع في غربة المفاهيم عن تراثنا حتى لا يتغلب المصطلح على المضمون الفكري المعبر عن الهوية، ولا نقع في مفارقة الانفصال بين ما نكتب و ندرس وبين الواقع المعاش.[52] على هذا الأساس يعتبر أن **"الوحي مجرد مواقف إنسانية تتكرر في كل زمان ومكان".**[53]

يميز "حنفي" بين التراث والتجديد فيصف الأول بأنه الوسيلة ويقول عن الثاني بأنه الغاية، لأنه يساهم في تطوير الواقع وحل مشكلاته والقضاء على أسباب معوقاته، وفتح مغاليقه التي تمنع أية محاولة لتطويره. فالتراث والتجديد يهدف كلاهما إلى إعادة بناء الإنسان انطلاقا من الإصلاح إلى النهضة ثم إلى

---

[50] - المرجع نفسه، ص 246.

[51] - حسن حنفي هموم الفكر العربي، ج2، مصدر سابق، ص 13.

[52] - حسن حنفي، تاريخية علم الكلام، المجلة الفلسفية المصرية، العدد1، القاهرة، 1992، ص 73.

[53] - حسن حنفي ، من العقيدة إلى الثورة، المركز الثقافي العربي، بيروت ، لبنان، 1999.ص87،

المجلد الحادي عشر / العدد الرابع /10 أفريل 2020 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

التنمية وتحقيق التقدم، وتأسيس قضايا التغيير الاجتماعي، من خلال تجاوز فكرة التراث كطاقة مختزنة، واعتباره أداة للبحث عن العصر وروحه والسعي إلى تطويرها، فهو إذن مجموعة التفاسير التي يعطيها كل جيل بناءا على متطلباته في واقعه المعاصر.[54]

والغاية النهائية للوعي الإنساني هي تحويل الوحي إلى علم إنساني شامل، وإيجاد موقف من الواقع الذي يفتقد إلى نظرية التفسير، وقيامها مشروع يجمع بين الوحي والواقع، بين التراث وقيم العصر، بين الدين والدنيا، وبين الله والإنسان، لأن هذه الثنائيات تعبر عن وعي إنساني كلاسيكي منهجه تحليل استعراضي شارح، لذلك ينبغي العمل بمنهج تحليل الخبرات الذي يبدأ من الواقع وليس من النص والمأثور والعرف، بهدف تحويل التراث إلى علوم إنسانية والربط بين الواقع والوحي في وحدة عضوية.[55]

ويجب أن يشمل التراث والتجديد عنده ثلاثة ميادين أساسية تتمثل في:

1- تحليل الموروث القديم وظروف نشأته ومعرفة مساره في الشعور الحضاري.

2- تحليل الأبنية النفسية للجماهير ومعرفة علاقتها بالموروث القديم والأوضاع الاجتماعية الحالية.

3- تحليل أبنية الواقع ومعرفة مدى نشأتها من الواقع ذاته ودرجة تطوره، أم أنها ناشئة من الأبنية النفسية للجماهير، الناشئة بدورها عن الموروث القديم، وعليه لابد أن ينتقل التراث والتجديد من علم الاجتماع المعرفي إلى تحليل سلوك الجماهير أي من العلوم الإنسانية إلى الثقافة الوطنية ومن الثقافة الوطنية إلى الثورة الاجتماعية والسياسية.[56]

على هذا الأساس استعمل المنهج الفينمونولوجي* للتعامل مع التراث بالعودة إلى تفكيك التراث الإسلامي وبالرجوع إلى محاورته ومساءلته من خلال النصوص الدينية لا بالشكل الذي يعتبر أن هذه النصوص قديمة وإنما بالشكل الذي يجعلنا نناقشها سطرا سطرا بحيث تصبح إشكالاتها آنية راهنية وحية يصل بيننا وبيننا عمق الحوار الذي يبعثها من سباتها من جديد.[57] وتجديد المنهج والتراث يقتضي تجديد اللغة

---

[54] - رابح مراجي، التجديد عند حسن حنفي، مجلة النقد الثقافي، ملف العدد(التراث والحداثة)، العدد الأول، 3013، ص 22.

[55] - كريمة كربية، إشكالية التجديد في فكر حسن حنفي، مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة السلطان قابوس، العدد 2، ص 41.

[56] - حسن حنفي، التراث والتجديد، مصدر سابق، ص 27.

* - إن مهمة الفينومينولوجيا هي العثور على تكوين الشعور الباطني في علم النفس، فهي علم للشعور الباطني قائم على تحليل المعاني، باعتبارها ماهيات تدرك بالحدس في رؤية واضحة ومباشرة للظواهر.

[57] - كريمة كربية، إشكالية التجديد في فكر حسن حنفي، مرجع سابق، ص44.

المجلد الحادي عشر / العدد الرابع /10 أفريل 2020 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

التي تعبر عن ذلك الجديد، ذلك أن المعاني تتغير بتغير الأشياء وبحكم الصلة القائمة بين المعاني والأشياء فإن الشيء الجديد يفرض فيه المعنى الجديد اللفظ الجديد المناسب له، والذي يوحي بمعان متعددة لم تكن موجودة مباشرة في الألفاظ القديمة.[58]

وبهذا فالمشروع الحضاري الجديد الذي ينادي به "حسن حنفي، مشروع منفتح "قادر على الحوار بين الحضارات من موقع الندية والتكافؤ وليس من موقع الدونية اتجاه الآخر الذي يتعامل معنا من موقع التفوق والعظمة. إن المشروع الحضاري الجديد لا تتم صياغته إلى في فلسفة جديدة لتاريخ تجعل الوعي بالفكر وعيا بالتاريخ".[59]

يُظهر لنا "حسن حنفي" في الأخير تفاؤله بمستقبل العقلانية العربية مع الأجيال القادمة، خاصة مع ظهور جيل جديد في الفكر العربي الإسلامي يمتلك الرغبة في تجاوز الجيل السابق، من خلال تجاوزه لمرحلة التنظير والتفسير إلى مرحلة الممارسة العملية والنقد وهذا ما نفهمه من خلال قوله:" ويظهر في الفكر العربي المعاصر الآن جيل جديد يتجاوز جيل المشاريع العربية المعاصرة ويمارس **"نقد النقد"**... إنه جيل العقل التاريخي الذي يتجاوز توفيقات العقل الإصلاحي والعقل الليبرالي وانشطار العقل العلمي العلماني ليقوم بالتحليل من خلال الفكر وفي قلب الواقع.[60]

خاتمة:

نصل في الأخير من طرحنا لإشكالية المنهج في العقلانية العربية عند "حسن حنفي" إلى أن المنهج أهم من الموضوع، مادام صواب الموضوع يقوم على صواب المنهج، وأن الفكر العربي الموروث لا يعارض الاستجابة للنزعات العقلانية وحتى التجريبية التي يشهدها الفكر الإنساني القديم أو التي جاءت مع الحضارة الغربية الحديثة والتي تطلبتها حركة النهوض والمقاومة في مجتمعاتنا. فالإسلام هو دين العقل والعقلانية بحكم احتوائه على مفاهيم الحداثة والتقدم، لهذا دعا "حنفي" إلى تجديد التراث ومحاولة قراءته قراءة عقلانية وواقعية بتجديد مناهج البحث العلمي عند المفكرين العرب التي يجب أن تبنى دعائمها على النقد والإبداع وفق شروط ومتطلبات الواقع، ويبقى الإسلام دين صالح لكل زمان ومكان، فالتقدم لا يعني مقاطعة التراث الإسلامي بل الرجوع الدائم له بنظرة تجدد أسسها في كل رجوع له.

قائمة المصادر والمراجع:

1- المصادر:

[58] - حسن جنفي، هموم الفكر والوطن، ج2، مصدر سابق، ص 198.

[59] - حسن حنفي، هموم الفكر والوطن، ج2، ص 50.

[60] - حسن حنفي، حصار الزمن الماضي، مصدر سابق، ص 165.

المجلد الحادي عشر / العدد الرابع /10 أفريل 2020 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

1- حسن حنفي، هموم الفكر والوطن (الفكر العربي المعاصر)، ج2، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة، 1998.

2- حسن حنفي، الفكر العربي بين الجمود والتجديد، المؤتمر الفلسفي العربي، منشورات الجمعية الفلسفية،عمان، 1992،.

3- حسن حنفي، موقفنا الحضاري، منشورات الفلسفة في الوطن العربي، بيروت، 1985.

4- حسن حنفي، التراث والتجديد (موقفنا من التراث القديم)، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، ط5، بيروت، 2002.

5- حسن حنفي، هموم الفكر والوطن (التراث والعصر والحداثة)، ج1، دار قباء للطباعة والنشر،ط2، القاهرة، 1898.

6- حسن حنفي وعبد الله المرزوقي، النظر والعمل والمأزق الحضاري الراهن، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1، 2003،

7- حسن حنفي، مقدمة في علم الاستغراب، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت،ط2، 2000.

8- جسن حنفي، قضايا معاصرة في فكرنا المعاصر، دار الفكر العربي للنشر، ط1، القاهرة، 1976.

9- حسن حنفي، حصار الزمن الحاضر،(إشكالات)، مركز الكتاب للنشر، القاهرة، ط1، 2004.

10- حسن حنفي ، من العقيدة إلى الثورة، المركز الثقافي العربي، بيروت ، لبنان، 1999 .

ثانيا: المراجع:

1- محمد عابد الجابري، تكوين العقل العربي، سلسلة نقد العقل العربي، بيرزت، ط3، 1988.

2- ليسينج، تربية الجنس البشري، ترجمة حسن حنفي، دار الفارابي للنشر، القاهرة، ط2 2006.

3- حسين الجابري، عقلانية حسن حنفي، جدل الأنا والآخر، عبد ربه للطباعة، ط1، القاهرة، 1997.

ثالثا: المعاجم

- جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج2، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1778.

4- قائمة المجلات:

1- جورج زناتي، عواصف غربية ضد العقلانية، مجلة الفكر العربي المعاصر، العدد 64- 65، بيروت، 199.

المجلد الحادي عشر / العدد الرابع /10 أفريل 2020 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

2- برهان غليون، العقلانية ونقد العقل، مجلة الوحدة، محور العدد: العقلانية والفكر العربي، الرباط، 1988.

3- محمد عابد الجابري، تكوين العقل العربي، سلسلة نقد العقل العربي، بيرزت، ط3، 1988.

4- كريمة كربية، إشكالية التجديد في فكر حسن حنفي، مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة السلطان قابوس، العدد 2.

5- رابح مراجي، التجديد عند حسن حنفي، مجلة النقد الثقافي، ملف العدد(التراث والحداثة)، العدد الأول، 3013.

6- نعيمة دريس، أزمة المناهج في الدراسات الإسلامية علم أصول الفقه عند حسن حنفي أنموذجا، مجلة منيرفا، العدد2، مجلد4، 2014.

7- مصطفى حجازي، نحو عقل عربي مستقبلي، مجلة الوحدة، العدد 41، الرباط، 1988.

8- حسن حنفي العقلانية في الفكر العربي المعاصر، مجلة الوحدة، العدد51، الرباط1988.

9- حسن حنفي، تاريخية علم الكلام، المجلة الفلسفية المصرية، العدد1، القاهرة، 1992.

خامسا: الموقع الالكتروني:

- بوعرفة عبد القادر، حوار أجراه مع مجلة الحوار المتمدن، http://bouarfah.blogspot.com/2013/06/blog-post_9.